تفريغ خطبة

أسباب انشراح الصدر

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن محمد بن خدة -حفظه الله-

فرّغها واعتنى بها أبو مالك إبراهيم الفوكي

كان الله له

مجالس العلم النافع لأهل السنة والجماعة بالجزائر

Majaliss.com

Benkhadda.com

تنبيه:

هذا التفريغ بإذن من الشيخ ولم يراجعه

الجمعة (١٨ ربيع الثاني ١٤٣٧هالموافق ٣٠ جانفي ٢٠١٦م)

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**} آل عمران١٠٢.

{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**} النساء١.

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠)، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**} الأحزاب٧٠-٧١.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: إن من خير ما نتواصى به التقوى، فالنتق الله جل وعلا -عباد الله-، ولنراقب الله جلّ وعلا، فإنه سبحانه وتعالى مطّلع علينا، يعلم سرّنا وجهرنا، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، {**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**} المائدة٧.

عباد الله: إن من أعظم ما يوفّق له العبد، أن يشرح اللهُ صدره للإسلام، ذلك أنه إذا شرح الله صدرك للإسلام أقبلت عليه، وتلقّيت تعاليم الإسلام بالقَبول، وتقبّلتها وأنت في غاية الراحة والسكينة، وفي غاية الطمأنينة، وقد امتنّ الله جلّ وعلا على نبيّه صلى الله عليه وسلم، بأن شرح صدره للإسلام، فقال جلّ وعلا {**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**} الشرح١، روى لإمام الحاكم في مستدركه، بسند جيد إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (**سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله، قلت: يارب كانت قبلي رسل منهم من سخّرت له الرياح، ومنهم من كان يحيي الموتى، وكلّمت موسى، قال جلّ وعلا: ألم أجدك يتيما فآويتك؟ ألم أجدك ضالا فهديتك؟ ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك؟ ووضعت عنك وزرك؟ فقلت: بلى يا رب، وددت أن لم أسأله**)[1]، فقد منّ الله جلّ وعلا على نبيه صلى الله عليه وسلم بأن شرح صدره للإسلام.

ومن ثمة عباد الله دعا موسى ربه أن يعطيه ذلك، لمّا أرسله جلّ وعلا إلى فرعون، فقال كما قال ربنا {**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي**} طه٢٥-٢٨.

فشرح الصدر -عباد الله- نعمة من نعم الله جلّ وعلا، نعمة عظيمة من الله على العبد، ولهذا قال جلّ وعلا {**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**} الزمر٢٢، أي أنه لا يستوي من شرح الله صدره للإسلام، ومن كان قلبه قاسيا، وقال ربنا جلّ وعلا {**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**} الأنعام ١٢٥، أي من علامة سعادة العبد وهداية أن يشرح الله صدره للإسلام، أي يوسّعه له، ويتسع وينفسح لذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما (**يوسّع قلبه للتوحيد والإيمان به**)[2]، وقال الإمام القرطبي رحمه الله (**وسّعه بالبيان لذلك**)[3]، وعندها -عباد الله- يستنير القلب بنور الإيمان، ويحيي بضوء اليقين، فتطمئن النفس عند ذلك، وتحبّ الخير، وتقبل عليه، وتطوّع له النفس فيلتذّ بذلك الفعل.

[1] [السلسلة الصحيحة ٢٥٣٨].
[2] [تفسير ابن كثير ٣٣٤/٣].
[3] [تفسير القرطبي ٧-٨١].

ومن علامة شقاوة العبد وضلاله، أن يُجعل صدره ضيقا عن قبول الإسلام، فينفر عن هذا الدين، ويراه تكلّفا في القيام به، كحال من يتكلف الصعود في السماء وهو لا يقدر على ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما (**الحرج موضع الشجر الملتف، فكأن قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة، كما لا تصل الراعية -أي الشاة- إلى الموضع الذي التف شجره**)[٤]،
ورُوي عن عمر رضي الله عنه في تفسير ذلك أن الحرجة هي الشجرة تكون بين الأشجار، التي لا تصل إليها راعية، ولا وحشية، ولا شيء، فقال: وكذلك قلب المنافق، لا يصل إليه شيء من الخير.

ولمّا كان انشراح الصدر للإسلام -عباد الله-، من النعم العظيمة، فاعلموا أن لذلك أسباب، ينبغي على العبد أن يحرص عليها، أن يحرص عليها أشد الحرص، وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله، إلى جملة من هذه الأسباب:

١= فأولها التوحيد، صفاء توحيد العبد لربه جلّ وعلا، سلامة العقيدة، وصحة الإيمان، أن لا تعبد إلا الله، وأن لا تتوجه بأي نوع من أنواع العبادة إلا إلى الله جلّ وعلا، سواء في ذلك كانت العبادة قولية أو فعلية أو قلبية، فإنما تتوجه بها إلى الله، فبصفاء القلب والعمل، يكون العبد منشرح الصدر، قال جلّ وعلا {**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**}الزمر٢٩، فهذا مثل ضربه الله جل وعلا، مثل العبد الذي يتشاركه شركاء، كلًّ يأمره بما لا يأمره به الآخر، فيكون العبد مشوش القلب، وعبد آخر ليس له إلا سيد واحد، يأتمر بأمره وينتهي بنهيه، فإنه منشرح البال والصدر، قال ابن عباس رضي الله عنهما (**هذه الآية ضُربت مثلا للمشرك والمخلص**)[٥] انتهى كلامه رضي الله عنه.

[٤] [تفسير القرطبي ٨١/٧].
[٥] [تفسير ابن كثير ٨٦/٧].

٢= ومن أسباب انشراح الصدر النور الذي يقذفه الله جل وعلا في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فهذا يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلبَ، ومما يساعد على تحصيل هذا النور من عند الله جل وعلا، الاشتغال بطاعة الله، والاشتغال بذكر الله، وكثرة ذكره واستغفاره، فإن المؤمن إذا فعل الطاعة، وترك المعصية، وجد لذلك أثرا من حلاوة ونور في القلب، فذلك سبب من أسباب انشراح الصدر.

٣= ومن الأسباب العلم عباد الله، والمراد به العلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو العلم النافع، فأهل العلم -عباد الله- أشرح الناس صدرا، وأوسعهم قلوبا، قال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه مسلم **(من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة)**[٦]، ولاشك أنه إذا سُهّل هذا الطريق إلى الجنة، فإن ذلك من علامة انشراح صدر العبد المؤمن.

٤= ومن الأسباب أيضا الإنابة إلى الله جل وعلا، ومحبته تعالى بكل القلب، والإقبال على الله، والتنعّم بعبادته، فلا شيء -عباد الله- أشرح للصدر من ذلك، حتى إنه ليقول بعض أهل العلم، وقد وجد من نعيم القلب وسروره وفرحه، قال: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب، فكلما ازداد حال العبد في هذا الجانب إنابةً ومحبةً، وتنعّما بالعبادة والإقبال على الله، كلما ازداد أنسه بالله، وازداد انشراح صدره أيضا، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جلّ وعلا **(وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه ، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أُحبَّه ، فإذا أحببتُه : كنتُ سمعَه الَّذي يسمَعُ به...)**[٧] رواه البخاري.

وهذا -عباد الله- من ألذ ما يجد العبد وهو ينيب إلى ربه، ويسعى في محبته، ويقبل على الله، ويتنعّم بعبادته، ولا ينغّص عليك ذلك أخي المؤمن، ولا يضيّقه عليك إلا إذا

[٦] [رواه مسلم ٢٦٩٩].
[٧] [رواه البخاري ٦٥٠٢].

خالطت البطّالين، الفارغين من هذا الشأن، فرؤيتهم -كما قال بعض أهل العلم- قذىً في العين، ومخالطتهم حمّى للروح -عياذا بالله تعالى-.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه غفور رحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٥= ومن أسباب انشراح الصدر عباد الله، المداومة على ذكر الله عز وجل في كل حال وفي كل موطن، فإن ذلك له تأثير عظيم في انشراح صدر العبد، قالت عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل أحواله**)[٨]، وفي صحيح مسلم أنهم عليهم الرضوان -أي الصحابة الكرام- ربما عدّوا للنبي صلى الله عليه وسلم، في المجلس الواحد (**أستغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة أو أزيد من ذلك**).

٦= ومن أسباب انشراح الصدر عباد الله، الإحسان إلى الخلق، ونفع الخلق بما يمكن أن ينفعهم به الإنسان، وبما يمكن أن يحسن إليهم به، من مال أو جاه، أو نفعٍ بدني، أو غير ذلك من سائر أنواع الإحسان، وقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام مثلا للمتصدقين، بمن عليه جنّة من حديد، كلّما تصدق اتسعت عليه، فقال صلى الله عليه وسلم -فيما رواه البخاري ومسلم- (**مثلُ البخيلِ والمنفقِ، كمثل رجلين، عليهما جُبَّتانِ من حديدٍ، من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفقُ : فلا ينفق إلا سبغتْ، أو وفرت على جلدِه، حتى تخفي بنانَه، وتعفو أثرَه**) أي أنها تتسع عليه (**وأما البخيلُ : فلا يريد أن ينفق**

---

[٨] [متفق عليه]

شيئًا إلا لزقتْ كلُّ حلقةٍ مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع)[٩]، فهذا مثل المنفق في سبيل الله، فكلما سعيت في الإحسان إلى الخلق، كلما ازداد صدرك انشراحا بالإسلام.

٧= ومن أسباب انشراح الصدر -عباد الله- الشجاعة، فالشجاع منشرح الصدر، متسع القلب، ليس حاله كحال الجبان.

٨= ومن أسباب انشراح الصدر أيضا، إخراج دخن القلب من الصفات المذمومة، التي توجب ضيقه وعذابه، الصفات المذمومة في القلب -عباد الله- تضيق الصدر على صاحبه، وهذه الصفات كالحقد والكره، والغيض والبغض والحسد والغيبة، والنميمة والكذب، والخيانة، والخديعة، والمكر والغدر، وغير ذلك من الصفات المذمومة.

فإن من أتى بأسباب انشراح الصدر، ولكنه لم يصفّ قلبه من هذه الصفات المذمومة، لم يحصل له ذلك الانشراح.

٩= ومن أسباب انشراح الصدر -عباد الله- ترك الفضول، ومجاوزة الحد في النظر والكلام، والاستماع، والمخالطة، والأكل والنوم، فهذا الفضول يحدث آلاما وغموما، وهموما في القلب، تحصره وتحبسه وتضيّقه وتعذّبه.

ثم اعلموا عباد الله إن كانت هذه الأسباب التي سبق ذكرها هي أسباب انشراح الصدر، فإن عكس هذه الأسباب، هي أسباب لضيق الصدر، وانحرافه، فأسباب ضيق الصدر وانحرافه:

الشرك بالله جل وعلا، والضلال بجميع أنواعه، وفقدان النور، الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهذا يكون بأن يفقد الإنسان أسباب هذا النور

ومن أسباب ضيق الصدر وانحرافه الجهل بالعلم الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإعراض عن الله جل وعلا، وتعلّق القلب بغير الله تعالى، والغفلة عن دين الله عز وجل، والغفلة عن محبّة الله عز وجل، وتعلّق المحبّة بسوى الله تبارك وتعالى.

---

[٩] [متفق عليه].

ومن الأسباب أيضا البخل، وعدم الإحسان، ومن الأسباب كذلك الجبن، ومنها أيضا أن يمتلئ القلب بالصفات المذمومة من حقد، وحسد، وغيض، وغدر، وخديعة، ومكرٍ وغير ذلك.

ومن الأسباب الفضول والزيادة في النظر والكلام، والاستماع، والأكل والنوم، والمخالطة.

فهذه عباد الله أسباب تضيّق الصدر، وتوقعه في الحرج، فلا إله إلا الله ما أضيق صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم، وما أنكد عيشه، وما أسوأ حاله، وما أشد حسرة قلبه.

ولا إله إلا الله ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة بسهم، وكانت همته دائرة عليها، حائمة حولها، فلهذا نصيب وافر من قوله تعالى {**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**}الانفطار١٣، ولذلك نصيب وافر، أي من جمع أسباب ضيق الصدر، من قوله تعالى {**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**}الانفطار١٤، وبينهما مراتب لا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى.

فهما صدران -عباد الله- وهما قلبان، صدر وقلب فيه نعيم وسرور، يصير في قبره رياضا وجنة، وصدرٌ وقلبٌ ضيّقٌ حرِج، يصير في قبره عذابا وسجنا، فحال العبد في القبر، كحال القلب في الصّدر، فإما نعيم وإما عذاب.

ولا ينزعجّن أحد عباد الله من أن منشرح الصّدر قد يصيبه ضيق، وضيّق الصدر قد يصيبه انشراح، لأنه لا عبرة بانشراح الصدر لعارضٍ ما، ولا عبرة بضيق صدرٍ لعارضٍ ما، فإن العوارض سرعان ما تزول، بزوال أسبابها، وإنما المعوّل -عباد الله- على الصفة التي قامت بالقلب، توجب انشراحه وحبسه، فهذا هو الميزان.

وحاصل ما سبق -عباد الله- أن نقول: لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، أكمل الخلق في كلّ صفةٍ يحصل بها انشراح الصدر، واتساع القلب، وقرّة العين، وحياة الروح، فأكمل الناس متابعة له عليه الصلاة والسلام، هو أكملهم انشراح صدرٍ، ولذّةً، وقرة عينٍ، وحياة روحٍ.

وعلى حسب المتابعة للنبي عليه الصلاة والسلام، ينال العبد من انشراح الصدر، وقرّة العين، ولذة الروح ما ينال، فهو صلى الله عليه وسلم في الذروة من شرح الصدر، ورفع الذكر، ووضع الوزر، ولأتباعه من ذلك بحسب نصيبهم من اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك لأتباعه صلى الله عليه وسلم، نصيب من حفظ الله عز وجل لهم، وعصمته إياهم، ودفاعه عنهم، وإعزازه لهم، ونصره لهم بحسب نصيبهم من المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، والناس في ذلك -عباد الله- بين مستقلّ من الاتباع، ومستكثر لذلك، ويوم اللقاء من وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنّ إلا نفسه، والله المستعان.

نسأله تبارك وتعالى، أن يوفّقنا لأسباب انشراح الصدر، وأن يشرح صدورنا للإسلام، إنه سميع قريب مجيب، كما نسأله تبارك وتعالى، أن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يخذل الكفرة والمنافقين، وأن يعلي راية الدين، ونسأله جلّ وعلا أن يجعل كيد الأعداء في نحورهم، وأن يجعل تدبيرهم على المسلمين تدميرا لأعداء الله تبارك وتعالى، كما نسأله جلّ وعلا أن يغيثنا، وأن يسقينا، وأن يرزقنا من فضله، إنه سميع قريب مجيب.

أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم إنه غفور رحيم، وسبحانك اللّٰهُمَّ وبحمدك، أشهد ألّا إيه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.